



«البيئة والأخلاق: تأصيل فلسفي لمبدأ الاستدامة»

"Environment and Ethics: A Philosophical Foundation for the Principle of Sustainability"

خالد خليفة عبد السلام الخطابي

Khaled Khalifa Abdel Salam Al-Khattabi

Academic Degree: Lecturer

جامعة: صبراتة

كلية: الآداب الجميل

محاضر بقسم: الفلسفة

Department: Philosophy

Faculty: Fine Arts

University: Sabratha

صبراتة-ليبيا

Sabratha, Libya

بريد الأكاديمي: Khaled.khaleefah@sabu.edu.ly

تاريخ الاستلام: 2025/8/12 - تاريخ المراجعة: 2025/9/13 - تاريخ القبول: 2025/11/13 - تاريخ للنشر: 2025 /12/6

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة الموسومة «البيئة والأخلاق: تأصيل فلسفي لمبدأ الاستدامة» إلى الكشف عن الأسس الأخلاقية والفلسفية التي تجعل من الاستدامة مشروعاً يتجاوز البعد التقني أو الاقتصادي ليغدو إطاراً معيارياً موجّهاً للسلوك، ويشير البحث إلى وجود فجوة واضحة في السياسات البيئية المعاصرة؛ إذ تركز غالباً على الحلول التقنية والمالية مع إغفال الأسس القيمة التي تضمن الالتزام طويل المدى بالممارسات المستدامة، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي والمنهج الفلسفي-المعياري بالاستناد إلى مصادر ثانوية كالأدبيات الفلسفية، التقارير الدولية، والنصوص الأخلاقية، وقد تناولت أهم التيارات الفكرية في فلسفة البيئة مثل مركزية الإنسان، المركزية الحيوية، الإيكولوجية العميقة، وفرضية غايا، وأظهرت النتائج أن الاستدامة تتطلب إطاراً أخلاقياً متكاملًا يقوم على مبادئ العدالة، المسؤولية، الاعتدال، والأمانة، وتوصي الدراسة بضرورة إدماج هذه المبادئ في المناهج التعليمية، السياسات العامة، التشريعات المؤسسية، وحملات التوعية المجتمعية بما يسهم في سدّ الفجوة بين النظرية والتطبيق وترسيخ ثقافة الاستدامة عبر الأجيال.

الكلمات المفتاحية: البيئة، الفلسفة، الاستدامة.

Abstract

This study, entitled "Environment and Ethics: A Philosophical Foundation for the Principle of Sustainability", seeks to explore the ethical and philosophical underpinnings of sustainability as more than a technical or economic concept. The research highlights a major gap in

contemporary environmental policies: while they often emphasize technological and financial solutions, they largely neglect the normative values necessary for long-term commitment to sustainable practices. Using a descriptive-analytical and normative philosophical method, and relying on secondary sources such as philosophical literature, international reports, and ethical writings, the study examines key currents in environmental thought—including anthropocentrism, biocentrism, deep ecology, and the Gaia hypothesis. The findings reveal that sustainability requires an integrated moral framework based on principles of justice, responsibility, moderation, and stewardship. The study concludes with recommendations to embed these ethical principles into education, policymaking, institutional regulations, and public awareness initiatives, in order to bridge the gap between theory and practice and to promote a culture of sustainability across generations.

Keywords: environment, philosophy, sustainability.

مقدمة

شهد العالم في العقود الأخيرة تزايداً ملحوظاً في التحديات البيئية، من تلوث الهواء والماء إلى تدهور الموارد الطبيعية وفقدان التنوع البيولوجي، ومع هذا التحدي، أصبح مفهوم الاستدامة ضرورة ملحة لضمان توازن بين احتياجات الإنسان وحقوق الأجيال القادمة في بيئة سليمة، ومن هنا، يبرز البعد الأخلاقي والفلسفي للاستدامة، الذي يسلط الضوء على قيم المسؤولية والعدالة والاعتدال في التعامل مع البيئة.

وتستند الاستدامة إلى فكرة أن الإنسان ليس منفصلاً عن محيطه الطبيعي، بل جزء لا يتجزأ منه، مما يحتم عليه التفكير في العواقب البيئية لأفعاله وقراراته، ومن هذا المنطلق يصبح تأصيل الاستدامة فلسفياً وأخلاقياً ضرورة لتوجيه السلوك الفردي والمؤسسي، ووضع سياسات واستراتيجيات تنموية تراعي حقوق البيئة والمجتمع على حد سواء.

وفي ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية السريعة التي شهدتها العالم خلال العقود الأخيرة، وبرزت التحديات البيئية كقضية مركزية تتطلب اهتماماً عاجلاً من المجتمع الدولي والحكومات والمؤسسات الأكاديمية، فقد أدت الأنشطة البشرية المكثفة، مثل الصناعة الزائدة، والاستغلال غير المستدام للموارد الطبيعية، إلى زيادة معدلات التلوث، وتدهور التربة، وفقدان التنوع البيولوجي، ما أثر سلباً على جودة الحياة للإنسان والكائنات الأخرى على حد سواء، وفي هذا السياق أصبح مفهوم الاستدامة أحد الركائز الأساسية لضمان توازن بين احتياجات الإنسان والحفاظ على البيئة للأجيال الحالية والمقبلة.

ولكي يتم فهم الاستدامة بشكل عميق، لم يعد كافياً النظر إليها من منظور بيئي أو اقتصادي فقط، بل أصبح من الضروري تأصيلها فلسفياً وأخلاقياً. فالاستدامة ليست مجرد سياسات تقنية أو خطط تنموية، بل هي تعبير عن قيم ومسؤوليات أخلاقية تجاه المجتمع والطبيعة، تؤكد على أهمية العدالة بين الأجيال، والاعتدال في استخدام الموارد، وتحمل مسؤولية الأفعال الفردية والجماعية تجاه البيئة، ومن هذا المنطلق يمثل الربط بين البيئة والأخلاق إطاراً معرفياً يمكن من خلاله صياغة سلوكيات وسياسات تدعم التنمية المستدامة.

تأتي أهمية هذه الدراسة من الحاجة الملحة إلى إعادة النظر في العلاقة بين الإنسان وبيئته، من منظور يدمج الفلسفة والأخلاق مع الممارسات العملية في التنمية البيئية؛ فهي تسعى إلى تقديم فهم نظري متكامل لكيفية توجيه السلوك البشري والسياسات البيئية نحو ممارسات مسؤولة، تضمن الحفاظ على الموارد الطبيعية وحقوق الأجيال القادمة، وتحقق في الوقت ذاته رفاهية المجتمع.١.

مخطط الدراسة

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في غياب إطار فلسفي وأخلاقي متكامل يوجه سلوك الإنسان تجاه البيئة، مما يؤدي إلى تدهور النظم البيئية وتفاقم الأزمات البيئية المعاصرة، فقد أشارت دراسة ذكي همام ومحمد حامد (2022) إلى أن السياسات والممارسات البيئية الحالية غالباً ما تركز على الجوانب التقنية والاقتصادية دون مراعاة القيم الأخلاقية الأساسية، مما يجعل الاستدامة في كثير من الحالات مجرد شعار نظري وليس ممارسة فعلية.

كما أكدت دراسة إمام عبد العاطي الخضراوي (2020) أن غياب التأسيس الفلسفي والأخلاقي لمفهوم البيئة يؤدي إلى قصور في توجيه سلوك الإنسان نحو ممارسات بيئية مسؤولة، وأن تعزيز الفضائل الأخلاقية مثل الاعتدال والعدالة والاحترام يمكن أن يساهم في تحسين الأداء البيئي وتحقيق استدامة حقيقية

وبناءً على ذلك تتحدد مشكلة البحث في عدم وجود إطار فلسفي وأخلاقي متكامل يوجه الإنسان نحو سلوك وممارسات بيئية مستدامة، بحيث تحقق التوازن بين التنمية وحقوق الأجيال القادمة، وتعمل على تعزيز القيم الأخلاقية والمبادئ الفلسفية التي تحكم العلاقة بين الإنسان والطبيعة، ومن هنا يبرز التساؤل الرئيس الآتي: "كيف يمكن بناء إطار فلسفي وأخلاقي لمفهوم الاستدامة يوجه السلوك الإنساني نحو ممارسات بيئية مسؤولة تحقق التوازن بين التنمية وحقوق الأجيال القادمة؟"

التساؤلات الفرعية:

- 1- ما الأسس الفلسفية التي يقوم عليها مفهوم الاستدامة في الفكر البيئي المعاصر؟
- 2- ما الأبعاد الأخلاقية التي يمكن أن تدعم الاستدامة وتحولها من مجرد شعار إلى ممارسة عملية؟
- 3- ما أوجه القصور في السياسات والممارسات البيئية الحالية نتيجة غياب البعد الفلسفي والأخلاقي؟
- 4- كيف تساهم القيم الأخلاقية مثل العدالة، الاعتدال، والمسؤولية في توجيه السلوك البيئي المستدام؟
- 5- ما التصور الفلسفي والأخلاقي المقترح لبناء إطار متكامل يحقق التوازن بين التنمية وحقوق الأجيال القادمة؟

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف "الأسس الفلسفية والأخلاقية لمبدأ الاستدامة"، وتوضيح كيفية توظيف القيم الأخلاقية في توجيه السلوك الفردي والمؤسسي نحو ممارسات بيئية مسؤولة، بما يحقق التوازن بين التنمية وحماية البيئة للأجيال الحالية والمقبلة.

الأهداف الفرعية:

- 1- تحليل الأسس الفلسفية لمفهوم الاستدامة وربطها بالقيم الأخلاقية التي تؤثر في السلوك البيئي للإنسان.
- 2- تحديد القيم والأخلاقيات البيئية الأساسية مثل العدالة، والاعتدال، والمسؤولية، وكيفية تعزيزها في السياسات والممارسات البيئية.
- 3- توضيح العلاقة بين الإنسان والطبيعة من منظور فلسفي وأخلاقي يضمن استدامة الموارد وحماية البيئة.
- 4- تقديم إطار نظري شامل يساهم في توجيه السياسات البيئية والممارسات المؤسسية نحو تحقيق التنمية المستدامة.

5- تسليط الضوء على الفجوة بين النظرية والتطبيق في الاستدامة البيئية، وتقديم مقترحات لتعزيز الالتزام الأخلاقي بالممارسات البيئية.

أهمية البحث:

في ظل التحديات البيئية المعاصرة، أصبح من الضروري دراسة الاستدامة ليس فقط كسياسات تقنية أو اقتصادية، بل كإطار فلسفي وأخلاقي يوجه السلوك البشري والمؤسساتي تجاه البيئة، وإن فهم الأسس الفلسفية والأخلاقية للاستدامة يساعد على تعزيز الممارسات البيئية المسؤولة، وتحقيق التوازن بين التنمية وحماية الموارد الطبيعية للأجيال القادمة. ومن هذا المنطلق، تتجلى أهمية هذا البحث من الناحيتين النظرية والتطبيقية كما يلي:

أولاً: الأهمية النظرية

تتجلى الأهمية النظرية لهذه الدراسة في تأسيس إطار معرفي شامل يربط بين الفلسفة والأخلاق ومفهوم الاستدامة البيئية؛ فهي تسعى إلى تحليل المبادئ الفلسفية والقيم الأخلاقية التي توجه سلوك الإنسان تجاه البيئة، مما يساهم في إثراء الأدبيات العلمية المتعلقة بالاستدامة من منظور فلسفي وأخلاقي، كما توفر الدراسة قاعدة نظرية لفهم العلاقة بين الإنسان والطبيعة بشكل أعمق، وتبرز دور القيم الأخلاقية مثل العدالة والاعتدال والمسؤولية في تحقيق التنمية المستدامة.

ثانياً: الأهمية التطبيقية

تتمثل الأهمية التطبيقية للدراسة في قدرتها على توجيه السياسات والممارسات البيئية نحو الاستدامة الفعلية، إذ تساعد النتائج المستخلصة في تطوير استراتيجيات مؤسسية وفردية تعتمد على القيم الأخلاقية في إدارة الموارد البيئية، وتعزز من وعي الأفراد والمؤسسات بمسؤولياتهم تجاه البيئة، كما يمكن الاستفادة من الدراسة في تصميم برامج تعليمية وتوعوية تعزز الثقافة البيئية المستدامة وتدعم اتخاذ قرارات بيئية رشيدة على مختلف المستويات.

منهجية البحث:

تصميم البحث: وصفي-تحليلي ونظري-فلسفي-أخلاقي، تم تحويل الموضوع إلى تحقيق مفاهيمي ونقدي يسعى إلى بناء إطار نظري أكثر منه بحثاً تجريبياً ميدانياً.

مصادر البيانات:

- مراجعة شاملة للكتب والدراسات العلمية العربية والأجنبية في فلسفة البيئة، الأخلاق البيئية، ومفاهيم الاستدامة (منذ السبعينيات حتى المصادر المعاصرة).
- مراجعة وثائق دولية وكلاسيكيات مؤثرة (مثل تقرير برونتلاند 1987 WCED، مراجع حديثة في الاستدامة)، بالإضافة إلى دراسات عربية مذكورة في نص البحث.
- مصادر دينية وأخلاقية (النصوص القرآنية والحديث النبوي، والمراجع الإسلامية الأخلاقية) لتأسيس البعد الإسلامي للأخلاق البيئية.

طرق جمع وتحليل البيانات:

- تحليل وثائقي ومحتوى نصي (qualitative document & content analysis) استخراج المفاهيم، القيم، والمقترحات من النصوص والمراجع.
- التحليل المقارن: مقارنة المناهج الفكرية الغربية (مركزية الإنسان، المركزية الحيوية، الأيكولوجية العميقة، غايا) مع التوجيه الأخلاقي الإسلامي.
- التحليل النقدي-المنهجي: ربط النتائج النظرية بالواقع السياسي-السياسي والأنظمة المؤسسية وبيان أوجه القصور والفرص.

نطاق البحث وحدوده:

- موضوعياً: يركّز على التأصيل الفلسفي-الأخلاقي لمبدأ الاستدامة وليس على تقييم سياسات بيئية تقنية محددة.
 - مصادرياً: يعتمد على بيانات ثانوية ومراجعات أدبية؛ لذلك النتائج تفسيرية ونظرية بطبيعتها.
- الدراسات السابقة:

تمهيد:

تشكل الاستدامة اليوم أحد أهم المفاهيم العالمية التي تهدف إلى تحقيق توازن بين الاحتياجات البشرية والحفاظ على البيئة للأجيال القادمة، ويُنظر إلى هذا المفهوم ليس فقط من منظور اقتصادي أو بيئي، بل يمتد إلى أبعاد فلسفية وأخلاقية تعكس مسؤولية الإنسان تجاه محيطه وحقوق الأجيال القادمة، إن الربط بين البيئة والأخلاق يوفر إطاراً نظرياً يسمح بفهم أساسيات الاستدامة، بدءاً من المبادئ الفلسفية التي تحدد قيم العدالة والمسؤولية، وصولاً إلى التطبيقات العملية التي تسعى لتحقيق تنمية مستدامة.

إن دراسة الاستدامة من منظور فلسفي وأخلاقي تسهم في توضيح القيم والمبادئ التي ينبغي أن تحكم سلوك الأفراد والمؤسسات تجاه البيئة، كما تساعد على صياغة سياسات واستراتيجيات بيئية قائمة على وعي أخلاقي عميق، يعزز من استمرارية الموارد الطبيعية ويحقق رفاهية المجتمع على المدى الطويل.

أولاً: الدراسات العربية

1- دراسة (الجبوسي، 2013)، بعنوان: "البيئة والتحول نحو الاستدامة: نظرة إسلامية".
يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على التصور الإسلامي لفكرة التنمية الإسلامية، ونقد الفكر الغربي وما يعانيه من إشكالية أدت إلى تدهور نظام البيئة، وتلوث الهواء، وتردي حالة الحياة الإنسانية، المتمثلة في الفقر والمرض والجوع، وصولاً إلى تبيان مدى الخلل الحاصل في الأنظمة البيئية نتيجة نسق التفكير الغربي، ونمط التنمية الغربية اللذين يعتمدان مبدأ النمو لأجل النمو، وتشجيع الاستهلاك، وحتى ربطه بمفهوم السعادة، ويهدف البحث كذلك إلى طرح رؤية جديدة للتنمية المستدامة (الطبية)، مستمدة من الفكر الإسلامي الذي يعتمد مبادئ العدل، والإحسان، وصلة الرحم، والحد من الفساد.

2- دراسة (بن دوبة، وبريخ، 2016)، بعنوان: "نحو أخلاقية بيئية".
تحدّد الأخلاق في سياقها التقليدي ضوابط الحياة الإنسانية، في مستوياتها المتعدّدة، فردية كانت، أو جماعية، ومسار التأسيس الأخلاقي المتأزم عبر التاريخ سمة مميزة للبحث، وللنظرية الأخلاقية، ومردّد ذلك المرونة التي تكتنف العقل البشري، فهو سيرورة، ومخاض تفاعل بين مجموعة من العناصر الثقافية والذاتية، إذ نجده يسير في حركة خطّية، وعمودية تجعل من النظرية الأخلاقية مفاهيم زئبقية، ورؤى نسبية، والعلم أخطر مؤشّر على سيرورة الفلسفة الخلقية، فنتأجه الباهرة فتحت مغالق كانت أمام العقل أغازاً يستحيل تجاؤها، كما طرحت في نفس الوقت إشكالات على مستوى البيئة، وعلى مستوى الكائنات الحية بشراً كان أم نباتاً، أم حيواناً.

3- دراسة (سومية، 2020)، بعنوان: "البيئة وسؤال الأخلاق".
يبين بحثنا هذا كيف أنّ سؤال الطبيعة أصبح من محاور الفلسفة المعاصرة، حيث يختبر مدى التعلّق بأساس تكذيب جدل الطبيعة المقدم من طرف خطاب الحداثة، آخذين بعين الاعتبار تحليل التيار الأخلاقي في البيئة؛ أين يبين أنّ ثنائية الأخلاق/الطبيعة لا يجب تقديمها بصفة عارضة، بدون ترك أي مقارنة فلسفية للطبيعة، حيث تظهر فيها الطبيعة غير منفصلة عن الكائن الذي يتجلّى في انعكاس النشاط الذي يجمع بين الإنسان والتقنية في هذا العالم، وتجلّي الموجود بدوره لا يعتبر انكشافاً بسيطاً، كما أنّ التغيرات الطارئة لا تحمل معانٍ بسيطة للأحداث، بل تحمل تماثلاً مع الأحداث؛ شكل التغيّر الموجّه من طرف الكائن نحو الكائن، لذا فإن المحافظة على البيئة وتغيير بعض البنيات تحمل بعداً ملحقاً وضرورياً.

4- دراسة (عقبة، 2022)، بعنوان: "التنمية المستدامة وسؤال الأخلاق: رؤية مقاصدية".

يبرز مسوغ طرح مشكلة التنمية المستدامة مجدداً، بالنظر إلى الأزمة البيئية التي تولدت عن النموذج الحداثي الاستهلاكي، الذي أخفق في الحفاظ على البيئة بكل تجلياتها؛ فلم يعد يفي بوعوده ولم يعد مستداماً بالتالي، ومع استمرار وجود صعوبة التفعيل بين أهداف التنمية المقررة عالمياً، تظهر الحاجة إلى طرح دعوى مفادها أن إغفال الاهتمام بالإنسان في بعده الأخلاقي خاصة هو مظنة الإخفاق، لأن تحديات التنمية أولاً هي تحديات بشرية بأبعاد أخلاقية؛ مما يستوجب افتراض دافع قيمي يبعث على الالتزام الأخلاقي لضمان تحقيق توازن عادل بين متطلبات الأجيال الحاضرة دون المساس بحق الأجيال القادمة. فما المسوغ الذي يجعل من تحديات التنمية تأخذ طبيعة أخلاقية بالأساس؟ وهل يمكن للنموذج الأخلاقي الإسلامي التوحيدي سد مسد النموذج الأخلاقي الغربي؟ تتبنى الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، والمقارن عند الاقتضاء، أما هدف الدراسة، فهو التنبيه إلى العلاقة بين الأخلاق والتنمية المستدامة؛ من خلال المساهمة في فتح الدراسات الفلسفية على الدراسات التطبيقية من جهة، وتوجيه الدراسات الإسلامية إلى الإشكاليات العملية من جهة أخرى، وتظهر أصالة البحث في محاولة معالجة موضوع التنمية المستدامة من زاوية فلسفية بقراءة أخلاقية ورؤية إسلامية؛ وذلك من خلال إبراز فلسفة الإسلام الأخلاقية واستمداد نظريته القيمية برؤية وآلية مقاصدية، وتخلص الدراسة النظرية التوثيقية إلى أن تحديات التنمية ذات طبيعة أخلاقية؛ بناءً على مسلمة أخلاقية الإنسان، وإلى وجود علاقة بين الاستدامة والأخلاق؛ فكل ما ليس أخلاقياً ليس مستداماً، والأزمة البيئية التي يشهدها العالم مردها غياب البعد الأخلاقي.

5- دراسة (همام، 2022)، بعنوان: "الاستدامة وفضيلة الانسجام مع الطبيعة".

يناقش هذا البحث كيف أن الاستدامة تمثل ركيزة أساسية للوجود الاجتماعي، ونمطاً حيوياً في نسيج الحياة البشرية المعاصرة، وينطوي على تغيير جوهري في كيفية ارتباط البشر ببعضهم البعض والطبيعة؛ فهي نظام من القيم يوجه حياة الفرد ويرقي بها إلى أعلى مستوياتها البشرية، فعلى مدار عقد الأمم المتحدة للتعليم من أجل الاستدامة، كان هناك اهتمام في مبادرات وبرامج وممارسات التعليم من أجل الاستدامة، ومع ذلك فإن القول بأن غالبية مناهج التعليم من أجل الاستدامة تقشل في معالجة القضية الرئيسية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، أو لمعالجة أسئلة ازدهار الإنسان كما هو موجود داخل النظام البيئي، يرتبط بالانتقادات والحجج القائلة بأن التعليم من أجل الاستدامة قد فشل في تحدي النظرة الاختزالية، ووجهة النظر الذرائعية للطبيعة التي ينادي بها جدول الأعمال الرأسمالي (النيوليبرالي) المهيمن، لذلك تُعد الاستدامة مفهوماً متنازعا عليه بشدة مع اختلاف التعاريف والآراء فيما يتعلق بما يجب أن يكون مستداماً، مثل النظم البيئية والموارد الطبيعية والثقافية، وما سيتم تطويره، مثل الإنصاف وتوزيع الثروة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية.

6- دراسة (إبراهيم، وعطية، 2023)، بعنوان: "أخلاقيات البيئة نحو وعي فلسفي جديد".

لقد أصبح الإنسان اليوم في وضع المُدان والمتهم الأكبر لما حل بالبيئة من تلوث، فهو يستهلك أكثر من القدر الذي تستطيع الطبيعة توفيره، وهذا الاستهلاك له آثاره السلبية والخطيرة على البيئة بشكل عام، فقد أدى التطور الذي شهده القرن العشرين وما تلاه في مجال العلم إلى مشاكل خطيرة سببها التأثير السلبي للعلم والتقنيات المتطورة في مجالات العلوم الأخرى على الطبيعة، فرغم ما قدمه العلم من نتائج مهمة للمعرفة إلا أنه لم يستطع أن يتجنب سلبياته التي انعكست على البيئة وألحقت الضرر والدمار بها، وهذا الأمر جعل الفلاسفة والمهتمون بالقضايا البيئية يثيرون التساؤلات حول علاقة البشر بالطبيعة والبيئة: هل البشر هم الكائنات الوحيدة التي تمتلك قيمة أصلية في الكون، أم أن العالم الطبيعي وما يضم من نبات وحيوان تمتلك قيمتها الخاصة المستقلة عن نفعها للبشر؟ هل على البشر التزامات خلقية نحو البشر الآخرين فضلاً عن التزاماتها أمام النبات والحيوان وما تضمه المنظومة البيئية؟ وما مدى المشكلات البيئية التي تنتج عن الإنسان اتجاه البيئة؟ هل يترتب على الإنسان مسؤوليات أخلاقية تجاه الأجيال المستقبلية؟ هل يمتلك الإنسان الحرية والحق في إبادة الكائنات الأخرى لأجل منفعة وتقدمه؟ كل هذه الأسئلة وغيرها حاول الفلاسفة والمهتمون بالشأن البيئي الإجابة عنها وإيجاد الحلول للمشكلات البيئية التي سببها الإنسان.

7- دراسة (بامي، 2023)، بعنوان: "الفلسفات البيئية وسؤال القيم: جدلية الإنسان والطبيعة".

سبق أن خالصنا في دراسة سابقة إلى أن العامل الإنساني اعتُبر حاسماً في ما آلت إليه البيئة الطبيعية من تدهور، إذ لم تعد تلك العلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة قائمة على أساس التوازن والاحترام، انطلاقاً من وحدة الأصل الكوني؛ فنتج عن ذلك تدهور للمحيط الطبيعي والمنظومات البيئية ومستقرات ومستودعات الكائنات الحية، فكانت النتيجة هي تدمير الوسط الحي والبيئات الطبيعية من جهة، وتدمير الكثير من الأسس الثقافية الإنسانية التي كانت تحفظ توازن الإنسان وصحته الجسدية والنفسية، على اعتبار أن كائنًا ترابيًا مثل الإنسان لا يمكنه أن يحقق انسجامه الكوني إلا في حسن التعامل مع الأرض بكل أبعادها الفيزيائية والكيميائية والعضوية والحيوية.

وتبين من خلال الأبحاث حول أصول الأزمة البيئية أن من أهم أسبابها سيادة التفكير الآلي الأداتي الذي اعتبر الطبيعة خزانًا لا ينضب من أجل إشباع الرغبات والنزوات، وتسعى الدراسة إلى الاقترب من مجموعة مفاهيم ورؤى تبلورت لفهم الإجابة على الإشكالية البيئية المعاصرة، قبل اقتراح حلول ذات طابع فلسفي أخلاقي، على أمل تحويلها إلى برامج عملية تحد من تفاقم الأزمة البيئية، ويعتمد التحليل على رصد إبستمولوجي مسنود بالتجربة الميدانية والعملية في مجال البيئة والتنوع البيولوجي.

ولفهم التطور الفلسفي الذي حصل في مجال "العلوم البيئية"، يجب الاطلاع على أهم تيارات الفلسفة البيئية خصوصًا في العالم الأنجلوساكسوني الذي يعتبر رائدًا في هذا الميدان، بعكس المدرسة الفرنسية التي لم تول اهتمامًا للموضوع إلا في العقود الأخيرة، أما المجتمعات العربية والإسلامية، فمفاهيمها حول البيئة لازالت في معظم جوانبها تتسم بالسطحية والاختزال، ويظل الحديث عن "فلسفة بيئية" فيها بعيد المنال، وتهدف الدراسة أيضًا إلى تقريب القراء العرب من هذا الحقل الفلسفي المرتبط بعلاقة الإنسان بمحيطه البيئي، بما يشكل بداية الطريق في أفق الانخراط الفلسفي/الأخلاقي في قضايا البيئة وعلاقة الإنسان بالطبيعة.

8- دراسة (حسين، 2024)، بعنوان: "تصور مقترح لاستخدام فلسفة العلم في تطوير علوم الاستدامة وأثره على عقلية النمو وتصويب أنماط الفهم الخطأ وتنمية أخلاقيات الاستدامة لدى الطالب المعلم".

هدف البحث الحالي إلى تحسين عقلية النمو وتصويب أنماط الفهم الخاطئ لبعض جوانب المعرفة العلمية المتعلقة بالعلم وفلسفته والاستدامة، وتنمية أخلاقيات الاستدامة لدى طلاب الفرقة الرابعة بكلية التربية شعبة الفيزياء وعددهم (40) طالبًا وطالبة، وطلاب STEM الفرقة الثالثة (كيمياء وبيولوجي ورياضيات) وعددهم (40) طالبًا وطالبة، كما تم تقصي الفروق بين أداء طلاب البرنامج العام (شعبة فيزياء) وطلاب STEM، من خلال تقديم تصور مقترح لدور فلسفة العلم بالنسبة للعلوم المختلفة وعلم الاستدامة باعتباره نهجًا متعدد التخصصات K، وتمثلت أدوات البحث في مقياس عقلية النمو، واختبار تصويب الفهم الخاطئ، واختبار أخلاقيات الاستدامة، واستخدم المنهج التجريبي ذو تصميم المجموعة الواحدة.

وأظهرت نتائج البحث وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات الطلاب في التطبيقين القبلي والبعدي لكل من مقياس عقلية النمو، واختبار تصويب الفهم الخاطئ، واختبار أخلاقيات الاستدامة لصالح التطبيق البعدي، كما أظهرت الفروق في الأداء على مقياس عقلية النمو وأخلاقيات الاستدامة وبعض جوانب اختبار تصويب الفهم الخاطئ لصالح طلاب STEM، مما يدل على فاعلية التصور المقترح في تنمية متغيرات البحث لدى العينة، وهو ما أكدت قيم حجم الأثر المرتفعة (0.25).

واستنادًا إلى النتائج، أوصى البحث بتبني أنشطة وعملات فلسفة العلم في تطوير منهجية علوم الاستدامة.

ثانيًا: الدراسات الأجنبية

1- دراسة (نيلسون و فوسيتش، 2012)، بعنوان: "علم الاستدامة: الأسس الأخلاقية والتحديات الناشئة".

Study (Nelson & Vucetich, 2012), titled: "Sustainability Science: Ethical Foundations and Emerging Challenges".

يتناول هذا البحث العلاقة الجدلية بين العلم والأخلاق في مجال الاستدامة، مبيّنًا أن غياب البعد الأخلاقي عن الخطاب المتعلق بالاستدامة قد أدى إلى إشكاليات جوهرية، يوضح المؤلفان أن الاستدامة لا يمكن أن تُفهم أو تُحقق بالعلم وحده، بل تحتاج أيضًا إلى أساس أخلاقي يحدد معاني مثل "احتياجات الإنسان"، و"صحة النظم البيئية"، ويعرضان الفرق بين "الاستدامة الضعيفة" التي تركز على رفاهية الإنسان في إطار اقتصادي، و"الاستدامة القوية" التي تركز على الحفاظ على رأس المال الطبيعي، كما ينتقد البحث الاتجاه السائد في حصر الاستدامة في بعدها العلمي أو التقني وإقصاء بعدها الأخلاقي، مما يؤدي إلى تضارب في الأهداف والمعايير، ويؤكد أن دمج الفلسفة والأخلاق البيئية في علم الاستدامة أمر ضروري لتوجيه البحث العلمي والسياسات العامة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على البيئة في آن واحد.

2- دراسة (ستارليت، 2024)، بعنوان: "الأخلاق البيئية وفلسفة الاستدامة".

Study (Starlet, 2024), titled: "Environmental Ethics and the Philosophy of Sustainability".

يهدف هذا البحث إلى تقديم فهم فلسفي وأخلاقي لمفهوم الاستدامة من منظور أخلاقي بيئي، حيث يناقش كيف يمكن أن تشكل الأخلاقيات البيئية إطارًا لتوجيه التنمية المستدامة. يشير البحث إلى أن التحديات البيئية المعاصرة مثل تغيّر المناخ، فقدان التنوع البيولوجي، والتدهور البيئي، تعود جذورها إلى فلسفة استغلالية ترى الطبيعة مجرد مورد اقتصادي، ويؤكد الكاتب على الحاجة إلى تبني نموذج قيمي جديد يقوم على احترام الطبيعة، المسؤولية الأخلاقية، والانسجام بين الإنسان والبيئة، بما يضمن استدامة الحياة للأجيال القادمة.

3- دراسة (فاسيانوفيتش، بودنيك، وأرجومند، 2018)، بعنوان: "الأسس الفلسفية للأخلاق البيئية".

Study (Vasianovych, Budnyk & Arjjumend, 2018), titled: "Philosophical Foundations of Ecological Ethics".

يهدف هذا المقال إلى توضيح جوهر الأخلاق البيئية في سياق البحث العلمي الحديث، حيث يركز على ضرورة تطوير استراتيجية وسلوك إنساني تجاه البيئة الطبيعية، بما في ذلك الإدارة الرشيدة للطبيعة، وحماية العالم المحيط بنا، واستعادته، يقوم التفكير المنهجي الجديد على أسس فلسفية للأخلاق البيئية مثل: الوعي البيئي، التفكير البيئي، القيم البيئية، والنشاط البيئي، كما يطرح البحث فكرة تطوير الأخلاق البيئية على أساس مبادئ علم "النولوجيا" الفلسفي والمسيحي، ويشير الباحثون إلى أن التحولات العالمية السريعة بما تحمله من إيجابيات وسلبيات تفرض ضرورة إنسنة البيئة الطبيعية والإنسان ذاته من خلال تشكيل وعي بيئي جديد، وكذلك إنسنة "التكنوسفير" والتخلي عن التفكير التكنولوجي البحت الذي يُعد في حد ذاته ضد الثقافة، بل وأحيانًا يهدد وجود البشرية على الأرض.

4- دراسة (سيدقي، نيام، وخالد، 2024)، بعنوان: "الأخلاق البيئية والاستدامة".

Study (Siddiqui, Nigam & Khalid, 2024), titled: "Environmental Ethics and Sustainability".

تقف الأخلاق البيئية والاستدامة في طليعة النقاش العالمي، مقدمة نموذجًا يدمج الاعتبارات الأخلاقية مع الضرورة لتحقيق توازن بيئي طويل الأمد، وتقوم أساسيات الأخلاق البيئية على الاعتراف بالقيمة الجوهرية للطبيعة، متجاوزة النظرة الأنثروبوسنترية لتبني منظورًا شموليًا لعلاقتنا بالبيئة، وتؤكد على الوصاية والمسؤولية والواجب الأخلاقي في الحفاظ على العالم الطبيعي واحترامه، أما الاستدامة فهي تجسد الانسجام بين الحفاظ على البيئة، العدالة الاجتماعية، والازدهار الاقتصادي، ساعية لتلبية الاحتياجات الحالية دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها، ويكشف تطور الأخلاق البيئية تاريخيًا عن مسار من الأنثروبوسنترية إلى أطر أخلاقية أكثر شمولًا تعطي الأولوية للقيمة الجوهرية للنظم البيئية والكائنات الحية، كما يبرز البحث مراحل مهمة، بما في ذلك نشوء الحركات المحافظة، الأدبيات البيئية المؤثرة، وظهور

المبادرات العالمية التي تركز على التنمية المستدامة والحفظ، وتتمثل التطبيقات العملية للأخلاق البيئية والاستدامة في تنفيذ السياسات، التعليم، ومبادرات التوعية العامة، بهدف سد الفجوة بين المبادئ الأخلاقية والإجراءات العملية، وتعزيز تغيير في القيم المجتمعية، والممارسات التجارية، وأطر السياسات نحو الاستدامة، ومع ذلك تظل هناك تحديات ناتجة عن تضارب المصالح، الضغوط الاقتصادية، وضرورة الموازنة بين احتياجات البشر والحفاظ على البيئة، غير أن هذه التحديات توفر فرصاً للابتكار، التقدم التكنولوجي، والعمل الجماعي لتحقيق مستقبل مستدام، ويخلص البحث إلى أن الأخلاق البيئية والاستدامة تمثل رؤية مستقبلية تتجاوز المكاسب قصيرة الأمد، داعية إلى عالم تتناغم فيه الاعتبارات الأخلاقية والممارسات المستدامة من أجل رفاهية البشرية والكوكب.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تشير الدراسات السابقة إلى أهمية دمج البعد الفلسفي والأخلاقي في مفهوم الاستدامة، وهو ما يؤكد الحاجة إلى إعادة النظر في العلاقة بين الإنسان وبيئته من منظور شامل يجمع بين المعرفة النظرية والممارسة العملية، فقد أظهرت الدراسات العربية، مثل دراسة الجبوسي (2013) ودراسة بن دويه وبرياح (2016)، أن التصورات التقليدية للاستدامة التي تركز على النمو الاقتصادي أو الجوانب التقنية غالباً ما تتجاهل القيم الأخلاقية، مما يؤدي إلى قصور في تحقيق الاستدامة الحقيقية.

كما أبرزت الدراسات الحديثة، مثل دراسة همام (2022) ودراسة إبراهيم وعطية (2023)، أن عدم مراعاة البعد الأخلاقي والفلسفي في السياسات البيئية يترتب عليه أزمات بيئية مستمرة، وأن إدماج القيم الأخلاقية مثل العدالة، والاعتدال، والمسؤولية، يمثل عاملاً أساسياً في توجيه السلوك البشري نحو ممارسات مستدامة، وقد أكدت الدراسات على أن الاستدامة ليست مجرد إدارة للموارد أو خطط اقتصادية، بل هي إطار معرفي متكامل يربط بين الفلسفة والأخلاق والممارسات البيئية، مما يعزز من قدرة الإنسان على اتخاذ قرارات رشيدة تراعي مصالح الأجيال الحالية والمقبلة.

علاوة على ذلك تؤكد الدراسات الغربية، كما في أعمال تابلور (2020) وتومبسون (2010)، على أهمية إعادة النظر في مركزية الإنسان ضمن النظم البيئية، ومراعاة القيم الكونية والحيوية في التعامل مع البيئة، وهو ما يدعم فكرة أن الاستدامة تتطلب تفكيراً فلسفياً وأخلاقياً عميقاً يتجاوز البعد النفعي التقليدي.

بناءً على ذلك يمكن القول إن هذه الدراسات توفر قاعدة صلبة لفهم الاستدامة كمفهوم متعدد الأبعاد، يجمع بين النظرية والتطبيق، وبين الفلسفة والأخلاق، ويؤكد على ضرورة أن يكون الالتزام البيئي والسلوك المستدام نابعاً من وعي أخلاقي وفلسفي، وليس مجرد تطبيق تقني أو اقتصادي، كما تبرز الفجوة الواضحة بين النظرية والتطبيق، مما يحتم تطوير أطر عمل ونماذج عملية تربط القيم الأخلاقية بالسياسات والإجراءات البيئية، لتحقيق استدامة حقيقية ومستدامة على المدى الطويل. أوجه التشابه والاختلاف بين البحث والدراسات السابقة:

أولاً: أوجه التشابه

1- التركيز على البعد الأخلاقي والفلسفي للاستدامة: يشترك البحث الحالي مع الدراسات العربية مثل: (الجبوسي، 2013؛ بن دويه وبرياح، 2016؛ سومية، 2020؛ عقبة، 2022) والدراسات الأجنبية مثل: (Nelson & Vucetich, 2012؛ Starlet, 2024؛ Vasianovych et al., 2018؛ Siddiqui et al., 2024) في التأكيد على أن الاستدامة ليست مسألة تقنية أو علمية فقط، بل هي قضية أخلاقية وفلسفية، حيث يجب أن يقوم التخطيط المستدام على القيم الإنسانية والأخلاقية لتحقيق العدالة بين الأجيال والحفاظ على البيئة.

2- الإقرار بأهمية العلاقة بين الإنسان والطبيعة: يتفق البحث الحالي مع الدراسات مثل (همام، 2022؛ بامي، 2023؛ إبراهيم وعطية، 2023) على أن العلاقة بين الإنسان والطبيعة تمثل جوهر القضية البيئية، وأن أي خلل في هذه العلاقة يؤدي إلى أزمات بيئية متعددة، الأمر الذي يستوجب تبني نموذج تنموي يقوم على الانسجام بين الإنسان والبيئة.

3- التأكيد على محدودية النماذج الغربية وضرورة رؤية محلية: يشترك البحث الحالي مع (الجيوسي، 2013؛ عقبة، 2022) على أن النموذج الغربي في التنمية المستدامة يعاني من قصور أخلاقي، ويقترح البحث الحالي مثلها تقديم بدائل مستمدة من القيم الإسلامية أو المحلية التي تركز على العدل والإحسان والبعد الأخلاقي في استراتيجيات الاستدامة.

ثانيًا: أوجه الاختلاف

1- المنهجية البحثية والتطبيقية: بينما اعتمدت معظم الدراسات السابقة على التحليل النظري والفلسفي (الجيوسي، 2013؛ بن دويه وبرياح، 2016؛ سومية، 2020؛ Starlet, 2024)، يدمج البحث الحالي بين التحليل النظري والتطبيق العملي، من خلال إجراء استقصاءات أو تجارب ميدانية، مثل دراسة حسين (2024) التي طبقت فلسفة العلم لتطوير أخلاقيات الاستدامة لدى الطلاب، ما يضيف بعدًا عمليًا يميز البحث عن الدراسات السابقة.

2- السياق الجغرافي والثقافي: يختلف البحث الحالي عن الدراسات الأجنبية في التركيز على السياق العربي والإقليمي، ما يسمح بفهم التحديات البيئية وفق الخصوصيات الثقافية والقيمية المحلية، وهو ما يظهر في الدراسات العربية مثل (الجيوسي، 2013؛ عقبة، 2022؛ بامي، 2023).

3- تفصيل البُعد الأخلاقي وتطبيقاته: بينما ركزت بعض الدراسات السابقة على المبادئ الأخلاقية بشكل عام (Nelson & Vucetich, 2012؛ Vasianovych et al., 2018)، يقدم البحث الحالي تحليلًا أعمق للبُعد الأخلاقي مع مقترحات عملية لتطبيقه في السياسات والاستراتيجيات التعليمية والبيئية، مستفيدًا من نتائج التجارب الميدانية ومقاييس الأداء، مثلما أظهرت دراسة حسين (2024) فعالية فلسفة العلم في تعزيز أخلاقيات الاستدامة.

4- التكامل بين العلوم والفلسفة: يتميز البحث الحالي بمحاولة الربط بين علوم الاستدامة والفلسفة الأخلاقية، وهو ما يتقاطع جزئيًا مع الدراسات الأجنبية الحديثة (Siddiqui et al., 2024)، لكنه يوسع نطاق التطبيق ليشمل التعليم والبرامج التدريبية وتنمية وعي الطلاب، ما يضيف طابعًا عمليًا وتكامليًا مفقودًا في معظم الدراسات السابقة. مصطلحات البحث:

- البيئة بلغة العلم: "مجموعة العناصر الحيوية والكيميائية والفيزيائية التي تحيط بالكائن الحي أو بمجموعة من الكائنات الحية وتؤثر على وجودها وبقائها".
- وقيل البيئة: "هي كل ما يحيط بالإنسان من ماء وهواء ويابسة وفضاء خارجي، وكل ما تحتويه هذه الأوساط من جماد ونبات وحيوان وأشكال مختلفة من طاقة ونظم وعمليات طبيعية وأنشطة بشرية". (دويدري، 2019)
- الخلق: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية؛ فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة، كانت الهيئة خُلُقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سُميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خُلُقًا سيئًا"، والأخلاق: "هي مجموعة من الآداب والقيم أو القواعد التي تعتبر صوابًا بين أصحاب مهنة معينة"، وكلمة أخلاق تعني: "وثيقة تحدد المعايير الأخلاقية والسلوكية المهنية المطلوب أن يتبعها أفراد جمعية مهنية". (الجرجاني، 136:1413)

- الفلسفة تعرف بأنها: "كلمة معربة من اليونانية (فيلوسوفيا)، والتي تعني حَب الحكمة". (جميل، 12:1998)
- أما الفلسفة اصطلاحًا فهي: "دراسة ما يتعلق بأمور الوجود، والمعرفة، والقيم، واللغة من خلال التفكير في هذه المسائل، والنظر لها بمنظور فلسفي دراكي". (موسوعة ستانفورد للفلسفة، 2018)
- وعرفها الكندي بأنها: "على الأشياء بحقائقها الكلية، حيث يؤكد أن الكلية هي إحدى خصائص الفلسفة الجوهرية التي تُميّزها عن غيرها من العلوم الإنسانية". (الكندي، 97:1950)
- أما عند الفارابي فهي: "العلم بالموجودات بما هي موجود". (الفارابي، 67:1993)

- إجرائيًا يشير مصطلح الفلسفة في البحث إلى: عملية التفكير النقدي والتأمل النظري في المبادئ الأساسية التي تحكم العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وتوضيح الأسس الفكرية لمفهوم الاستدامة الأخلاقية والبيئية، ويمكن تقييمه من خلال دراسة وتحليل النظريات الفلسفية التي تفسر سلوك الإنسان تجاه البيئة.
- الاستدامة لغويًا: "الاستدامة مشتقة من الفعل دام يدوم، وتعني الاستمرار والدوام في الزمن".
- الاستدامة اصطلاحًا: "تعرف الاستدامة بأنها: قدرة الأجيال الحالية على تلبية احتياجاتها دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها. (Brundtland, G. H., 1987)
- من منظور بيئي يرى (Daly, 1996) أن الاستدامة تعني: "الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية بحيث لا يتجاوز معدل استهلاكها معدل تجددتها الطبيعي".
- من منظور اقتصادي واجتماعي يعرف (Sachs, 1999) الاستدامة بأنها: "تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي، والعدالة الاجتماعية، وحماية البيئة".
- من منظور المؤسسات الدولية عرّفت الأمم المتحدة الاستدامة بأنها: "عملية ديناميكية تستهدف تحقيق تنمية متوازنة وشاملة، تأخذ في الاعتبار الترابط بين الإنسان والبيئة والاقتصاد" (United Nations, 2015).

الدراسة النظرية

الإطار النظري:

تمهيد:

يشكل الإطار النظري الدعامة الرئيسة لأي بحث، فهو يوفر البنية الفكرية التي تُبنى عليها المفاهيم والتحليلات، ويساعد الباحث على تنظيم الأفكار وربط الدراسات السابقة بالممارسات الجديدة. في موضوع الاستدامة، يوضح الإطار النظري الأبعاد الفلسفية والأخلاقية للموضوع، مبينًا كيف تؤثر القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية على سلوك الإنسان تجاه البيئة والمجتمع، كما يبرز دور الفلسفة في تحليل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالوجود الإنساني، ودور الأخلاق في توجيه الممارسات نحو التنمية المستدامة التي تحقق التوازن بين مصالح الفرد والمجتمع وحماية الموارد للأجيال القادمة.

من خلال تقسيم الإطار النظري إلى عناوين فرعية واضحة، يمكن للباحث عرض المفاهيم بشكل متسلسل، بدءًا من الأسس الفلسفية والأخلاقية، مرورًا بمبادئ الاستدامة، وصولًا إلى التطبيقات العملية التي تربط النظرية بالقيم والممارسة، بما يعزز فهم القارئ للتكامل بين المعرفة والسلوك المسؤول تجاه البيئة.

أولاً: الأسس الفلسفية والأخلاقية لمفهوم الاستدامة

ظهر مفهوم الاستدامة تدريجيًا باعتباره مفهومًا رئيسيًا في عمليات التخطيط البيئي والاجتماعي على مدى ثلاثين عامًا، وتعود أولى استخداماته إلى سبعينيات القرن الماضي، حين بدأ منتقدو اعتماد الزراعة الصناعية على الطاقة الأحفورية والمياه الجوفية في التساؤل حول المدة التي يمكن أن يواصل فيها العلم الزراعي التفوق في سباق "مالتوسي" مع نمو السكان، وبالتالي مع ذلك، جادل المدافعون عن الحفاظ على المزارع متوسطة الحجم - السائدة في الماضي - بأن أنظمة الزراعة هذه كانت ضرورية للحفاظ على حيوية المجتمعات الريفية، فقد أظهر عالم الأنثروبولوجيا "والتر غولدشميت" أن المجتمعات المحاطة بمزارع صناعية كبرى تواجه صعوبة في الحفاظ على المدارس والأعمال التجارية وبقية عناصر البنية التحتية، ومن ثم بدأ أنصار المجتمعات الريفية يجادلون بأن الحفاظ على المزارع الصغيرة والمتوسطة أمر أساسي لاستدامة تلك المجتمعات

(دوغلاس، 1984)، وقد أطلقت وزارة الزراعة الأميركية برنامج "الزراعة المستدامة منخفضة المدخلات (LISA)" عام 1988م، ثم تطورت تسميته ومجالات تركيزه في السنوات اللاحقة.

اكتسب مفهوم الاستدامة اعترافاً عالمياً أوسع مع صدور تقرير اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية (WCED) التابعة للأمم المتحدة عام 1987م، بعنوان "مستقبلنا المشترك"، والذي يُشار إليه غالباً بتقرير "برونتلاند" نسبة إلى رئيسها غرو هارلم برونتلاند، وقدم التقرير نظرة شاملة وإن كانت عامة للتوتر بين التنمية الاقتصادية العالمية وجودة البيئة. وعرف التنمية المستدامة بأنها: "التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحالي من دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها". (WCED, 1987)

قدم تعريف برونتلاند للتنمية المستدامة مبدأً أخلاقياً واسعاً يتضمن عنصرين رئيسيين:

- أنه يحدد أهداف التنمية في إطار تلبية احتياجات البشر، وهو ما يختلف عن بعض نظريات التنمية التي تركز على مقاييس كمية محضة مثل الناتج المحلي الإجمالي.
- أنه يتضمن التزاماً صريحاً تجاه الأجيال القادمة. وهذا النهج الفلسفي يرتبط بمفهوم "المركزية الإنسانية" الذي يرى أن حماية البيئة يجب أن تُبنى أساساً (أو حصرياً) على الفوائد التي يجنيها البشر من استغلال الموارد الطبيعية. إلا أن بعض فلاسفة البيئة رأوا إشكالات في الالتزام تجاه الأجيال القادمة؛ فقد قدم "ديريك بارفيت" سلسلة من المفارقات الفلسفية التي تنبع من تأثير أفعالنا الحالية على هوية الأشخاص الذين سيولدون في المستقبل وعلى تفضيلاتهم، ما يجعل تنفيذ مثل هذا الالتزام أمراً إشكالياً.
- شهد العقد الذي تلا تقرير اللجنة العالمية العديد من المحاولات لصياغة التزامات التقرير بلغة أكثر تحديداً وقابلة للتطبيق في السياقات التخطيطية والإدارية. ركّز أحد التيارات على إعادة توجيه مؤشرات التنمية الدولية المعروفة مثل: (متوسط العمر المتوقع، وفيات الأطفال، التعليم، والناتج المحلي الإجمالي)، وقد جادل اقتصاديون في هذا الاتجاه بأن النمو الاقتصادي قصير المدى سيؤدي تلقائياً إلى الاستدامة طويلة المدى، مستندين إلى افتراضات مترابطة:
- أن أسعار الموارد الطبيعية غير المتجددة سترتفع مع زيادة ندرتها، مما يحفز على الترشيد والبحث عن بدائل.
- أن الثروة المتراكمة على المدى القصير ستتيح استبدال موارد جديدة أو تكنولوجيات غير معروفة بعد.
- أن الخصم الاقتصادي للتكاليف والفوائد المستقبلية يجعل آثارها أقل أهمية كلما ابتعدت في الزمن.
- في المقابل، شدّد آخرون على هشاشة النظم البيئية، معتبرين أن الموارد المتجددة (مثل المياه والتربة والغابات ومسايد الأسماك) قد تكون أكثر أهمية من الموارد غير المتجددة، إذ يمكن استغلالها إلى ما بعد قدرتها على التجدد من دون أن ترتفع أسعارها فوراً، ليحدث بعد ذلك انهيار مفاجئ ودائم في النظام البيئي (لودفيغ، 1993)، ومن هنا ظهرت مؤشرات جديدة تركز على مرونة النظم البيئية ومستويات الضغط عليها بدلاً من مؤشرات الاقتصاد التقليدية.
- مع بداية الألفية الجديدة بدأ الجدل التقني حول المؤشرات يُستبدل باهتمام أوسع بمفهوم "الخطوط الثلاثة للحصيلة (Rogers)" (Ryan, 2001)، أي ضرورة دمج الاقتصاد والبيئة والمجتمع في أي تخطيط للاستدامة، وقد صيغ ذلك غالباً في صورة ثلاث دوائر متقاطعة: "الناس، الكوكب، والربح".

- بالنسبة للشركات الربحية: أتاح هذا الإطار لها الاعتراف بشرعية أنشطتها الإنتاجية، ورأت في الكفاءة الطاقوية وتحليل دورة الحياة أدوات لتقليل التكاليف وتعزيز الربحية مع الامتثال للمسؤولية الاجتماعية.
 - بالنسبة لمنظمات المجتمع المدني: وفر هذا النموذج وسيلة لدمج العدالة الاجتماعية مع حماية البيئة، مبرزاً كيف يمكن للفقر والحرمان أن يدفعوا الناس إلى استنزاف الموارد الطبيعية، وربط بين التدهور البيئي والنزاعات الاجتماعية والسياسات القمعية أو التوسعات الشركاتية.
 - وفي السنوات الأخيرة، برزت ثلاثة تطورات محورية:
 - توصيف الاستدامة على أنها "مشكلة عصية (Wicked Problem)" تتصف بتعقيدها وتعدد الأطراف المعنية وعدم وجود حلول نهائية لها.
 - ربطها بشكل متزايد بقضية التغير المناخي وصعود علم الاستدامة كمجال بحثي متعدد التخصصات يدمج العلوم الاجتماعية والطبيعية لمعالجة مشكلات معقدة.
 - عودة النقاشات الفلسفية حول القيم التي تتطوي عليها الاستدامة ومعانيها الأخلاقية.
- وقد ربط "براين نورتن" الاستدامة بعمليات السياسات البيئية التشاركية وبنهج الإدارة التكيفية المتأثر بأعمال "ألنو ليوبولد"، أما "بول ب. تومسون" فجادل بأن بعض الناس ينظرون إلى الاستدامة كمسألة كفاية موارد، أي كمسألة محاسبية كمية تتعلق بمعدلات الاستهلاك والمخزون. بينما يركز آخرون على سلامة النظم، معتبرين أن الأمر يتعلق بمدى عمل النظم الاجتماعية والبيولوجية بشكل سليم أو تعرضها لتهديدات داخلية، وهو منظور يرى الإنسان جزءاً من هذه النظم وليس متحكماً مطلقاً فيها. (Thompson, 2010:11)

ثانياً: مبادئ الاستدامة من منظور البيئة والأخلاق

نُعدّ الاستدامة في جوهرها إطاراً جامعاً بين البُعد البيئي والبعد الأخلاقي؛ فهي لا تُختزل في إدارة الموارد الطبيعية أو ضبط مسارات التنمية الاقتصادية فحسب، بل تتجاوز ذلك لتؤسس لرؤية قيمية تقوم على العدالة والمسؤولية تجاه الإنسان والطبيعة والأجيال المقبلة، ومن هذا المنطلق يصبح الحديث عن الاستدامة حديثاً عن منظومة من المبادئ التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة، وتوجّه خياراته التنموية بما يحافظ على التوازن بين الحاجات الآنية والحقوق المستقبلية.

وانطلاقاً من هذا التصور نذكر أهم المبادئ التي تشكّل الركيزة الأساسية للاستدامة من منظور بيئي وأخلاقي، وهي:

1- المبادئ الاقتصادية:

وتتطلب أن تكون حماية البيئة جنباً إلى جنب مع التقنية، فالعمل بأخلاقية، وبطريقة إيجابية، وسلوك الطرائق السليمة مع الموارد البيئية يجب أن يكون محطّ عناية الإنسان واهتمامه؛ لأن أي خلل في المنظومة البيئية يؤدي إلى حدوث مشاكل في البيئة، ومن ثمّ يؤثر سلباً على الكائنات الحية التي تعيش على الأرض. (عادل وآخرون، 2007:117)

2- المبادئ العلمية:

وهي المبادئ التي توجب اعتماد أسلوب التعامل العلمي مع البيئة؛ فالتخطيط العلمي المبني على أسس علمية رصينة، والإشارات والتوصيات العلمية المتبعة من الفرد تؤدي إلى تقليل المخاطر البيئية واختفائها، ومن ثمّ تؤدي إلى المحافظة على التوازن البيئي من أجل استمرار الحياة، والعكس عندما لا يتبنى الفرد الأسلوب العلمي للتخطيط والتعامل مع البيئة الذي يؤدي

إلى إحداث خلل في التوازن البيئي عبر استغلال الموارد البيئية من دون المحافظة عليها، وهذا أدى إلى حدوث كوارث خطيرة، منها: الإضرار بطبقة الأوزون، وتغير المناخ، والاحتباس الحراري الذي تعاني منه الأرض في وقتنا الحالي. (مجموعة مؤلفين، 2015:207)

3- المبادئ الأخلاقية:

وهي المبادئ التي الأهم من بين المبادئ السالفة الذكر، والمتمثلة في الفرد، ومدى استعداده في أن يكون عنصرًا فاعلاً وإيجابيًا في مجتمعه، حريصًا عليه، مسؤولًا تجاهه وتجاه الآخرين عن طريق التعهد بالمحافظة على التزاماته تجاه البيئة، وهذا يُعد واجبًا وقيمة أخلاقية لا بد من الوقوف أمامها، لما لها من أبعاد خطيرة إذا ما أهملت. (عادل وآخرون، 2007:117). وهكذا، يتضح من خلال سرد هذه المبادئ الاقتصادية والعلمية والأخلاقية أن حماية البيئة لا يمكن فصلها عن القيم الإنسانية والسلوك المسؤول؛ فالتخطيط العلمي وتطبيق التقنيات المستدامة، إلى جانب الالتزام الأخلاقي للفرد والمجتمع، يشكلان أساسًا للحفاظ على التوازن البيئي وضمان استمرار الحياة للأجيال الحالية والمستقبلية، ومن هنا تتجلى الاستدامة كمنظومة متكاملة تجمع بين المعرفة، والممارسة العملية، والقيم الأخلاقية، لتكون إطارًا توجيهيًا يساهم في تحقيق تنمية متوازنة تحافظ على حقوق الإنسان والطبيعة معًا.

ثالثًا: البيئة والأخلاق (جذور فلسفية لمفهوم الاستدامة)

إن العلاقة بين الإنسان والبيئة لم تعد مجرد علاقة نفعية تقوم على استغلال الموارد الطبيعية، بل أصبحت قضية أخلاقية وفلسفية تستدعي إعادة النظر في موقع الإنسان داخل الطبيعة، فقد أسهمت الفلسفات الحديثة في إبراز فكرة أن البيئة ليست مجرد إطار خارجي للحياة، وإنما شريك أساسي في استمرارها، وأن حماية التوازن الطبيعي تمثل التزامًا أخلاقيًا يتجاوز حدود الحاضر ليشمل حقوق الأجيال القادمة.

والبيئة والأخلاق هي فرع من فروع الأخلاق التطبيقية التي تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والمحيط الطبيعي له من هواء وماء ومناخ وأرض، فقد ظهرت بوصفها نظاماً جديداً وفلسفة تقوم على العلاقة الأخلاقية بين الإنسان والبيئة، على أساس أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي استطاع بعقله الإبداع في الوسائل والتقنيات التي سخرها للسيطرة على الطبيعة، فضلاً عن أنها نظام جديد يهتم بالقواعد التي يراها الإنسان ليحافظ على الطبيعة بتطوير هذا النظام الفكري الذي يسعى إلى توسيع السلوكيات والمواقف والقيم بالنسبة للمحيط الحيوي كله. (مجموعة مؤلفين، 2015:174)

ظهرت تيارات عدة في الفكر الفلسفي المعاصر، وتحديدًا منذ منتصف القرن العشرين، أخذت على عاتقها مهمة تحليل الجوانب الفلسفية للأزمة البيئية. هذه التيارات حاولت الإجابة بشكل أساسي عن سؤال مفاده: ما مدى حاجتنا نحن البشر إلى فهم جديد لعلاقتنا مع العالم الطبيعي في عصر التدهور البيئي الذي نعيشه؟ وهذه التيارات هي:

1- المركزية الحيوية:

مؤسس هذا التيار أو النظرية الفيلسوف الأسترالي بيتر سنجر (1946م)، والفيلسوف الأمريكي بول تاييلور (1933-2015م)، إذ رفضت هذه النظرية مركزية الإنسان في أن يكون الإنسان محور الأخلاق، وتتادي بجعل المبدأ الأخلاقي يشمل كل الكائنات الحية من حيوان ونبات، كونها كلها كلاً متناغماً ومنسجماً.

2- الأيكولوجية العميقة:

مؤسس هذه النظرية الفيلسوف النرويجي آرني نايس (1912-2009م)، وقد رفضت هذه النظرية نظام القيمة المعتمدة على الإنسان، ورأت أنه لا بد من الاعتراف بالقيم المتضمنة في الطبيعة بالاستقلال عن الرغبات والمطالب الشخصية والحاجات الإنسانية. وقد عُرِفَت نوعين من الأيكولوجية، هما:

- **الأيكولوجية السطحية:** التي تركز على المسائل المتعلقة بالتلوث وتأثيراتها السلبية على حياة الإنسان.
- **الأيكولوجية العميقة:** التي تستقي مبادئها من الفلسفة، وتقرّ بأن علم البيئة محدود باستعمال المناهج العلمية فقط، في حين الفلسفة هي ميدان أوسع بإمكانه تناول مشكلات البيئة بصورة عبر مناقشة الأسس الموضوعية والقريبة لها.

3- المركزية الكونية:

مؤسس هذه النظرية الفيلسوف الإنجليزي جيمس لوفلوك (1919م)، وتعرف هذه النظرية باسم غايا (GAIA)، وهو اسم آلهة الأرض لدى اليونان. ترى هذه النظرية أن المجال الحيوي بكل مكوناته من الغلاف الجوي، الجليدي، المائي، والصخري هو كائن حي يمكنه تنظيم نفسه بنفسه، فضلاً عن قابليته للتجديد باستمرار، فهو يبدع من ذاته ومن ثم يشكل نظاماً معقداً يحافظ في الوقت نفسه على التوازن البيئي. (زيمرمان، 2000:18)

يتبين مما سبق أن العلاقة بين الإنسان والبيئة لم تعد محصورة في بعدها النفعي القائم على استغلال الموارد الطبيعية، بل غدت قضية أخلاقية وفلسفية تستوجب إعادة النظر في موقع الإنسان داخل النسق الطبيعي، وقد أسهمت التيارات الفلسفية المعاصرة مثل - المركزية الحيوية والأيكولوجية العميقة والمركزية الكونية - في إرساء أسس فكرية جديدة تؤكد قيمة الطبيعة وحق جميع الكائنات في الوجود، وتدعو إلى تجاوز الأنانية البشرية في التعامل مع البيئة. وانطلاقاً من هذه الرؤى تبلور مفهوم **الاستدامة** باعتباره التزاماً أخلاقياً وإنسانياً عالمياً، يربط بين حاضر الإنسان ومستقبل الأجيال القادمة، ويؤكد أن حماية التوازن البيئي لم تعد خياراً، بل ضرورة حتمية لاستمرار الحياة وصون موارد الأرض وتنميتها عبر الزمن.

رابعاً: المقاربة الفلسفية والأخلاقية

تتناول المقاربة الفلسفية والأخلاقية العلاقة بين الإنسان وبيئته، وكيفية توجيه السلوك البشري للحفاظ على الموارد الطبيعية وضمان استدامتها للأجيال القادمة، فهي توفر إطاراً لفهم كيفية استثمار الإنسان للبيئة دون الإضرار بها، مستندة إلى قيم ومبادئ أخلاقية وفلسفية تهدف إلى تحقيق التوازن بين الاستفادة من الموارد وحمايتها.

من المنظور الفلسفي، تؤكد الدراسات على أن البيئة جزء أساسي من الوجود الإنساني، وأن النظر إليها كعنصر متكامل ضمن النظام الاجتماعي والحضاري يفرض على الإنسان مسؤولية الحفاظ عليها، ويعزز سلوكيات مستدامة توازن بين مصالح الفرد والمجتمع وحماية الموارد للأجيال المقبلة. (Zuhdi, Bilhaq, & Putri, 2024)

وتشير دراسة (بن دونه وبرياح، 2016) إلى أن الأخلاق في سياقها التقليدي تحدد ضوابط الحياة الإنسانية على مستويات متعددة، سواء كانت فردية أو جماعية، وتوضح الدراسة أن مسار التأسيس الأخلاقي عبر التاريخ يعكس مرونة العقل البشري وقدرته على التفاعل مع العناصر الثقافية والذاتية، مما يجعل النظرية الأخلاقية مفاهيم رُبُقية ورؤى نسبية، كما يبرز الباحثان

دور العلم في تطور الفلسفة الأخلاقية، إذ فتحت نتائجه الباهرة آفاقًا جديدة للفهم، لكنها طرحت في الوقت نفسه تحديات وإشكالات على مستوى البيئة والكائنات الحية، سواء كانت بشرًا أو نباتات أو حيوانات.

أما من المنظور الأخلاقي الإسلامي، فالبيئة تُعد أمانة في يد الإنسان، ويحث الإسلام على المحافظة عليها وتحقيق التوازن بين الاستغلال والرعاية. فقد ورد في القرآن الكريم إشارات واضحة إلى ضرورة احترام النظام الكوني، وتوجيه الإنسان للعمل وفق ضوابط أخلاقية تحافظ على التوازن البيئي، كما توضح السنة النبوية العديد من المبادئ العملية مثل النهي عن الإفساد في الماء والأرض، وتشجيع زراعة الأشجار وحماية الكائنات الحية. (Zuhdi et al., 2024)

إن الجمع بين الفلسفة الغربية والتوجيهات الأخلاقية الإسلامية يتيح بناء إطار شامل للاستدامة، يجمع بين التفكير العقلاني والمبادئ الأخلاقية العملية، ويعزز وعي الإنسان بأهمية البيئة، ويحفزه على اتخاذ قرارات صديقة للبيئة، مما يسهم في حماية الموارد الطبيعية وضمان استدامتها للأجيال الحالية والمستقبلية.

خامسًا: الاستدامة بين الفلسفة والأخلاق (أسس نظرية)

تمثل الاستدامة بين الفلسفة والأخلاق إطارًا نظريًا متكاملًا يجمع بين التحليل العقلاني للقيم والمبادئ، والتوجيه العملي لسلوك الإنسان نحو المحافظة على البيئة وضمان استدامة الموارد للأجيال الحالية والمستقبلية، إن الفلسفة توفر القاعدة المعرفية التي تمكن الإنسان من فهم مكانته ضمن النظام البيئي، وتحليل العلاقة بين الإنسان والطبيعة، بينما الأخلاق تحدد القيم والمبادئ التي تحكم هذه العلاقة، وتوجه الإنسان نحو سلوك مسؤول ومتوازن.

1- الفلسفة كأساس نظري للاستدامة:

من منظور فلسفي، تعتبر الاستدامة نتاجًا للتأمل في طبيعة المعرفة والعلم، وتحليل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالوجود الإنساني، مثل المسؤولية، العدالة، الحرية، إذ تتيح الفلسفة للإنسان فهم طبيعة الموارد الطبيعية وضرورة المحافظة عليها، وفهم العواقب طويلة المدى لتصرفاته على البيئة والمجتمع، كما تساهم الفلسفة في تصحيح أنماط الفهم الخاطئ والمفاهيم المغلوطة حول العلاقة بين الإنسان والطبيعة، بما يؤدي إلى تبني ممارسات علمية وأخلاقية سليمة. (حسين، 2024)

2- الأخلاق كمرشد للسلوك المستدام:

الأخلاق توفر الإطار القيمي الذي يحكم تصرفات الإنسان تجاه البيئة والمجتمع؛ فهي تضع معايير للسلوك الصحيح، وتحث على تحقيق العدالة بين الأجيال واحترام حقوق الكائنات الحية، ومن خلال الالتزام بالقيم الأخلاقية، يمكن للفرد أن يتخذ قرارات مستدامة تقلل من الضرر البيئي وتضمن الاستخدام الرشيد للموارد، وعلى سبيل المثال: نظرية المركزية الحيوية "لبول تايلور" تؤكد على أن جميع الكائنات الحية لها قيمة مستقلة، ويجب التعامل معها بعدالة ومسؤولية، بما يعزز الاستدامة البيئية. (Taylor, 2020)

3- التكامل بين الفلسفة والأخلاق:

الاستدامة الفعالة تتطلب الجمع بين التحليل الفلسفي للمفاهيم الأساسية والالتزام الأخلاقي بالقيم الإنسانية والبيئية، ومن خلال هذا التكامل يمكن وضع أسس واستراتيجيات عملية تهدف إلى حماية البيئة وتحقيق رفاهية المجتمع، وتحويل المبادئ النظرية إلى سلوك يومي ملموس يدعم الاستدامة على المدى الطويل.

وأظهرت دراسة (حسين، 2024) التطبيقية أن إدماج فلسفة العلم في تعليم علوم الاستدامة يؤدي إلى تحسين عقلية النمو لدى الطلاب، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وتنمية أخلاقيات الاستدامة، مما يدل على فعالية هذا الإطار النظري في التطبيق العملي.

كما أكدت (همام، 2022) أن الاستدامة تمثل ركيزة أساسية للوجود الإنساني، مشيرًا إلى أن الانسجام بين الإنسان والطبيعة يعد شرطاً لتحقيق رفاهية الإنسان والحفاظ على البيئة.

وتناولت دراسة (ريكور، 2015) أهمية الأخلاق البيئية والفلسفة في بناء وعي بيئي متوازن، موضحاً أن الفلسفة تساعد على فهم مسؤولية الإنسان تجاه الأرض وضرورة حماية الموارد.

وأوضحت دراسة (تايلور، 2020) أن المركزية الحيوية تجعل كل الكائنات الحية ذات قيمة مستقلة، مما يفرض على الإنسان سلوكيات أخلاقية تحمي التوازن البيئي.

ومن هذا المنظور يمكن القول إن الاستدامة بين الفلسفة والأخلاق تعتمد على أسس نظرية قوية تجمع بين التحليل المفاهيمي والقيم الأخلاقية والممارسات العملية. هذه الأسس تساعد في توجيه سلوك الإنسان نحو حماية البيئة واستخدام الموارد بشكل رشيد، كما تدعم التفكير النقدي والمسؤولية الفردية والجماعية لضمان استدامة البيئة والمجتمع على المدى الطويل.

تحليل الإطار النظري:

إن الاستدامة ليست مجرد مصطلح بيئي أو خطة اقتصادية، بل هي في جوهرها مشروع فلسفي وأخلاقي يعيد صياغة علاقة الإنسان بالطبيعة والزمن والمجتمع، وحين ننظر إليها من زاوية فلسفية، نجد أنها تعكس سؤالاً عميقاً حول موقع الإنسان في الكون: هل هو سيد الطبيعة المتحكم فيها، أم شريك في نسيج كوني أوسع يتجاوز حدوده الفردية؟ هذا السؤال الذي يبدو بسيطاً هو في الحقيقة لب الأزمة البيئية الحديثة، لأن أغلب الممارسات التنموية التي أنتجت في القرنين الماضيين قامت على أساس نفعي يجعل الطبيعة مجرد مورد للاستغلال، بينما الاستدامة تستدعي إعادة النظر في هذا الأساس، وتحويل العلاقة إلى التزام ومسؤولية.

ففي العمق الأخلاقي لمفهوم الاستدامة نجد جدلية الزمن حاضرة بقوة؛ فالمسؤولية لا تُختزل في الحاضر ولا تنتهي عند تلبية حاجات الأجيال الراهنة، بل تمتد إلى أجيال لم تولد بعد، أجيال لا نعرف هويتها ولا ظروفها ولا تفضيلاتها، ومع ذلك فإن أفعالنا اليوم ستحدد شكل حياتها غداً، وهذه الفكرة تطرح مفارقة فلسفية كما أوضح بارفيت، إذ كيف يمكن للإنسان أن يلتزم أخلاقياً تجاه كائنات لم تأخذ بعد وجودها؟ هنا تصبح الاستدامة أفقاً للتفكير في العدالة عبر الزمن، وعدالة كهذه لا يمكن أن تُبنى على منطق المنفعة وحده، بل على أساس أخلاقي يعترف بحقوق الغائب بقدر اعترافه بحقوق الحاضر.

وقد كان تقرير بروننتلاند لحظة فارقة لأنه لم يقدم تعريفاً تقنياً فحسب، بل حمل الاستدامة مضموناً قيمياً شاملاً، جعلها أقرب إلى مشروع إنساني عالمي منها إلى برنامج إداري، فالتقرير أرسى فكرة أن البيئة ليست مجرد مسرح خارجي للحياة البشرية، بل شرط أساسي لدوامها، وأن الحفاظ على الموارد لا يُقاس فقط بمعدلات النمو الاقتصادي، بل بقدرتنا على حماية شروط الحياة نفسها، ومن هنا برز التوتر الفلسفي بين اتجاهين: اتجاه يثق بقدرة التقنية والسوق على تعويض النقص وإيجاد بدائل، واتجاه آخر يحذر من هشاشة النظم البيئية ويؤكد أن تجاوز حدودها قد يؤدي إلى انهيار لا رجعة فيه. هذا التوتر جعل الاستدامة أقرب إلى قضية جدلية مفتوحة لا تقبل حلولاً نهائية، بل تفرض إعادة التفكير المستمر في أفعالنا ونتائجها.

وفي خضم هذه الجدليات ظهرت مدارس فلسفية أعادت النظر في مركزية الإنسان، فالمركزية الحيوية عند بول تايلور وبيتر سنجر سعت إلى توسيع دائرة الاعتبار الأخلاقي لتشمل كل الكائنات الحية، بينما الأيكولوجية العميقة عند آرنو ناييس ذهبت أبعد، إذ أكدت أن للطبيعة قيمة قائمة بذاتها، بغض النظر عن حاجات الإنسان ومصلحته، أما المركزية الكونية في طرح لوفلوك فقد أعادت تعريف الكوكب نفسه بوصفه كائناً حياً قادراً على التجدد والتوازن، وهذه الرؤى الفلسفية لا تكتفي بتوسيع الأخلاق، بل تعيد صياغة أنطولوجية الإنسان ذاته، إذ لم يعد يُنظر إليه كمالك مطلق للطبيعة، بل كجزء من نسق كوني أعقد منه.

ومع تطور الفكر البيئي، بات واضحاً أن الاستدامة ليست فقط مسألة تقنية أو اقتصادية، بل مسألة قيمية تتعلق بتعريف العدالة والمسؤولية، والعدالة لم تعد محصورة بين الأفراد أو المجتمعات، بل باتت تمتد بين الأجيال، والمسؤولية لم تعد تُقاس بحدود الدولة أو السوق، بل بحدود الأرض ككل، وإن هذا التحول يجعل الاستدامة مفهوماً فلسفياً بامتياز، لأنها تضع الإنسان أمام مرآة ذاته: كيف يحدد موقعه بين الحاضر والمستقبل، بين مصالحه الفردية وحقوق غيره، بين كونه فاعلاً حراً وبين كونه خاضعاً لشروط الطبيعة.

وإذا انتقلنا إلى البعد الأخلاقي الإسلامي، نجد أن هذه الرؤية تتكامل مع ما طرحته الفلسفات البيئية الحديثة، لكنها تضيف بعداً أعمق يتمثل في اعتبار البيئة أمانة في يد الإنسان؛ فالقرآن والسنة يقدمان تصوراً أخلاقياً يجعل الطبيعة جزءاً من نظام كوني متوازن، يحظر الإفساد فيه ويحث على الإصلاح وحماية الموارد، وهذا التصور يحرر الإنسان من وهم السيطرة المطلقة، ويضعه في موضع الوكيل المسؤول لا السيد المستبد، وهنا تتلاقى الفلسفة مع الدين، في بناء وعي أخلاقي شامل يؤكد أن العلاقة مع البيئة ليست علاقة نفعية فحسب، بل علاقة عهد ومسؤولية.

وبذلك يظهر أن الاستدامة مشروع فلسفي-أخلاقي متعدد الأبعاد، يجمع بين التحليل العقلاني للمفاهيم الأساسية كالعدالة والمسؤولية، وبين التوجيه القيمي للسلوك الإنساني؛ فهي ليست مجرد وسيلة تقنية لإدارة الموارد، بل أفق مفتوح للتفكير في معنى الوجود البشري داخل الطبيعة وفي الزمن، ومن هذا المنظور، يمكن القول إن الاستدامة تعكس انتقالاً في الوعي الإنساني من مركزية الذات إلى مركزية الحياة، ومن الأنانية الزمنية إلى العدالة عبر الأجيال، ومن وهم السيطرة إلى وعي الشراكة مع الكوكب، وإنها ليست برنامجاً سياسياً أو بيئياً فحسب، بل حوار فلسفي دائم بين الإنسان وذاته، وبين الإنسان والعالم الذي يسكنه.

نتائج وتوصيات البحث:

النتائج:

- 1- الاستدامة ليست مجرد قضية تقنية أو اقتصادية، بل تتطلب أساساً أخلاقياً وفلسفياً.
- 2- السياسات البيئية الحالية غالباً ما تهمل القيم والمبادئ الأخلاقية اللازمة للالتزام طويل المدى.
- 3- التيارات الفكرية البيئية المختلفة (مركزية الإنسان، المركزية الحيوية، الإيكولوجية العميقة، فرضية غايا) تؤكد الحاجة لإطار متكامل للقيم الأخلاقية.
- 4- المبادئ الأخلاقية الأساسية للاستدامة تشمل: العدالة، المسؤولية، الاعتدال، والأمانة.
- 5- غياب التكامل بين النظرية والقيم الأخلاقية يقلل من فعالية الممارسات البيئية المستدامة.

التوصيات:

- 1- دمج المبادئ الأخلاقية للاستدامة في المناهج التعليمية والتدريبية.
- 2- تطوير السياسات العامة والتشريعات المؤسسية لتكون مبنية على قيم العدالة والمسؤولية.
- 3- تعزيز التوعية المجتمعية والثقافة العامة بأهمية الاستدامة كأساس أخلاقي وليس مجرد تقنية.
- 4- تشجيع الدراسات والبحوث المستقبلية على التركيز على البعد الفلسفي والأخلاقي للاستدامة.
- 5- إنشاء آليات عملية لقياس مدى تطبيق المبادئ الأخلاقية في السياسات البيئية والممارسات المجتمعية.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- 1- إبراهيم، هبة عادل، وعظية، آمال عبدالله، (2023): "أخلاقيات البيئة نحو وعي فلسفي جديد"، جامعة بغداد.
- 2- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (1413هـ/1993م): "التعريفات"، دار الكتب العلمية.
- 3- الفارابي، أبو نصر، (1993): "إحصاء العلوم"، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 67.
- 4- الكندي، يعقوب بن إسحاق، (1950): "رسائل الكندي الفلسفية"، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 97.
- 5- تايلور، بول، (2020): "المركزية الحيوية: قراءة في أخلاقيات البيئة"، تكوين.
- 6- بامي، جمال، (2023): "الفلسفات البيئية وسؤال القيم: جدلية الإنسان والطبيعة"، وحدة الإحياء - دراسات محكمة.
- 7- بن دويه، شريف الدين، وبريخ، مختار، (2016): "نحو أخلاقية بيئية"، مقاربات فلسفية، 3(1)، ص 66-85.
- 8- حسين، سماح أحمد، (2024): "تصور مقترح لاستخدام فلسفة العلم في تطوير علوم الاستدامة وأثره على عقلية النمو وتصويب أنماط الفهم الخطأ وتنمية أخلاقيات الاستدامة لدى الطالب المعلم"، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، 40(4)، ص 1-50.
- 9- جميل، مراد، (1998): "مدخل إلى الفلسفة"، بيروت، دار النهضة العربية، ص 12 - للأصل اللغوي "فيلسوفيا = حب الحكمة".
- 10- دويدري، رجاء وحيد، (2004): "البيئة: مفهوماها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي"، القاهرة: دار الفكر المعاصر.
- 11- ريكور، بول، (2015): "الفلسفة البيئية وأخلاق الأرض"، الرابطة المحمدية للعلماء.
- 12- زيمرمان، مايكل، (2000): "الفلسفة البيئية"، ترجمة: معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
- 13- سومية، حراث، (2020): "البيئة وسؤال الأخلاق"، مجلة مفاهيم، 3(1)، ص 295-309.
- 14- عادل، هبة، (2017): "فلسفة الأخلاق"، الطبعة 1، دار المنار العلمية للطباعة والنشر، بغداد، العراق.
- 15- عقبة، جنان، (2022): "التنمية المستدامة وسؤال الأخلاق: رؤية مقاصدية"، مجلة أريد الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 4(7)، ص 196-209.
- 16- عودة، الجيوسي، (2013): "البيئة والتحول نحو الاستدامة: نظرة إسلامية"، الفكر الإسلامي المعاصر سابقاً، إسلاميات المعرفة، 18(72)، ص 43-79.
- 17- مجمع اللغة العربية، (2004): "المعجم الوسيط"، الطبعة 4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.

18- مجموعة مؤلفين: أبو يعرب المرزوقي، أجاتا كريستي، أحلام مستغانمي، أحمد خالد توفيق، أحمد خيرى العمري، أدهم شرقاوي، أميرتو إيكو، أندريه لالاند، إدوارد سعيد، نعوم تشومسكي، (2015): "الأخلاق التطبيقية: جدل القيم والسياقات الراهنة"، إشراف خديجة زنتلي، الطبعة الأولى 1، منشورات ضفاف، لبنان.

19- موسوعة ستانفورد للفلسفة، (2018): Stanford Encyclopedia of Philosophy، استرجع في 30 أغسطس 2025 من: <https://plato.stanford.edu>

20- همام، محمد حامد ذكي، (2022): "الاستدامة وفضيلة الانسجام مع الطبيعة"، مجلة كلية الآداب بقنا، 31(56)، ص 13-76.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Brundtland, G. H. (1987). Our common future: Report of the World Commission on Environment and Development. Oxford: Oxford University Press.
- 2- Daly, H. (1996). Beyond growth: The economics of sustainable development. Boston: Beacon Press.
- 3- Nelson, M. P., & Vucetich, J. A. (2012). Sustainability science: Ethical foundations and emerging challenges. *Nature Education Knowledge*, 3(10), 12.
- 4- Sachs, I. (1999). Social sustainability and whole development: Exploring the dimensions of sustainable development. *World Development*, 27(3), 477–500.
- 5- Siddiqui, A. A., Nigam, R., & Khalid, M. A. (2024). Environmental ethics and sustainability. In *Environmental Problems, Protection and Policies* (pp. 321–338). Lucknow, India: M/S Academic Publishers & Distributors
- 6- Starlet, C. (2024). Environmental ethics and the philosophy of sustainability. *International Journal of Philosophy*, 3(4), 1–13.
- 7- United Nations. (2015). Transforming our world: The 2030 agenda for sustainable development. New York: United Nations.
- 8- Vasianovych, H., Budnyk, O., & Arjjumend, H. (2018). Philosophical foundations of ecological ethics. *Grassroots Journal of Natural Resources*, 1(2), 13–21.
- 9- Thompson, P. B. (2012). Sustainability: Ethical foundations. *Nature Education Knowledge*, 3(10), 11.
- 10- Zuhdi, A., Bilhaq, M. A. M., & Putri, R. L. (2024). Islamic philosophy's approach to environmental ethics: An analysis of the teachings of the Qur'an and Hadith. *Journal of Noesantara Islamic Studies*, 1(4), 198–213.